

## الأكراد وحوار العقلاء

2019-03-13 د. عبد الحسين شعبان

استعدتُ وأنا أستمع إلى محاضرة البروفسور الكردي العراقي شيرزاد النجار والموسومة " الأخوة العربية- الكردية وحوار العقلاء" عبارة هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي ومستشار الأمن القومي الأسبق، حين سأله أحد الطلبة عما يمكن أن يدرسه ليحظى بالموقع الذي وصل إليه ، فأجاب " التاريخ والفلسفة"، وهما القضيتان الأساسيتان اللتان كانتا حاضرتين في حديث شيرزاد النجار في "منتدى تحولات - مركز ألف" في بيروت وبحضور متميز ولافت لنخبة فكرية وثقافية وسياسية.

التاريخ والفلسفة اللذان اعتمد عليهما كيسنجر وهو يتقدم الصفوف في "تروست الأدمغة" أو " مجمع العقول" الذي ضم أكاديميين بارزين منذ عهد الرئيس جون كيندي الذي اغتيل في 22 نوفمبر/تشرين الثاني العام 1963 أصبح له شأن كبير فارتقى من جاء منه سلم الدبلوماسية والأمن القومي، إضافة إلى كيسنجر كان هناك زيغينيو بريجنسكي ومادلين أولبرايت وستيفن هادلي وكونداليزا رايس . الدعوة لحوار عقلاء تُقرأ من عنوانها حين يتعلق الأمر بالعلاقة العربية- الكردية، من منظور فلسفي وتاريخي، حيث ركّز المحاضر على المشتركات الموحدة والجامعة وتجنب المختلفات المفرقة والمشتتة، ولاسيما بالدعوة لحوار القيم والمفاهيم وليس حوار البارود والدم، وذلك انطلاقاً من المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة.

ولا تستند أهمية الوعي بالتاريخ وفلسفته على استعادته ، فالماضي مضى بكل ما له وما عليه فالسلفيون وحدهم يعيشون في الماضي ، لكن استحضار التاريخ غير استعادته والهدف منه هو الاستفادة من دروسه وعبره، بما يؤدي إلى تجاوز الأخطاء والثغرات والنواقص التي رافقته وهو ما ينطبق على العلاقة العربية- الكردية، خصوصاً وأن الأكراد تعرّضوا في التاريخ المعاصر ومنذ قيام الدولة العراقية، إذا أردنا الحديث عن العراق، إلى اضطهاد وتمييز مزمن ومعتق، دون نسيان أخطاء قيادات الحركة الكردية وتأثيرات القوى الخارجية الإقليمية والدولية، التي ظلّت وما تزال تعمل لإضعاف الطرفين ولتعزيز نفوذها ومواقعها، وخصوصاً القوى الكبرى التي كثيراً ما أججت الحروب والصراعات وعقدت المشاكل والاختلافات، إرضاء لمصالحها الأنانية الضيقة، بل قدّمت وعوداً لهذا

الطرف أو ذاك ونكثت فيها.

وقد أثبتت التجربة التاريخية فشل جميع الحكومات الدكتاتورية والشوفينية والاستبدادية في حلّ القضية الكردية وتلبية مطامح الشعب الكردي في التعبير عن كينونته وهويته بما ينسجم مع التطور الكوني، مثلما لم تنجح الحركات الكردية في تحقيق طموحاتها ومطالبها عبر الحلول العسكرية والعنفية، وهو ما يتطلب البحث، بل والاستثمار في الحوار السلمي المدني وصولاً للمشاركات التي ترضي الطرفين، بالاعتراف المتبادل بحقوقهما وتقرير مصيرهما في إطار المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة وعلى أساس المساواة والشراكة والمواطنة المتكافئة. وأكّدت التجربة أيضاً إن العيش المشترك ومعاً وعلى أساس الإقرار بالتنوع والتعددية هو السبيل الكفيل لوصول الحوار إلى النتائج المطلوبة، وهو ما ينبغي أن يكون حوار عقلاء خارج دائرة الاصطفافات المسبقة، بل هدفه التوصل إلى ما هو مشترك ونافع، لاسيّما بتعظيم الجوامع وتقليص الفوارق وباحترام الهويّات الخصوصية في إطار الهويّة العامة الجامعة، الأمر الذي يقتضي إرساء ذلك بصياغات دستورية وقانونية انطلاقاً من القيم المشتركة التي تخص شعوب وبلدان المنطقة في التنمية والتحرر والديمقراطية والعدالة الاجتماعية وتوحيد كياناتها، فضلاً عن انبعاثها الحضاري، التي هي رافعات لأي مشروع نهضوي.

وإذا كانت الدولة العراقية قد عانت من ضعف الهياكل والتراكيب الحكومية وشح الحريات منذ تأسيسها في العام 1921 فإنها عانت من مشكلة كردية تفاقمت مع مرور الأيام بثورات وتمردات أهمها الثورة الكردية المعاصرة بقيادة المّلا مصطفى البارزاني. وإذا كان شعار " على صخرة الأخوة العربية- الكردية تتحطّم مؤامرات الاستعمار والرجعية"، قد جسّد تطلعات اليسار العراقي منذ الثلاثينات فأصبح في الستينات "الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكردستان" شعاراً لعدد غير قليل من أطراف الحركة الوطنية العراقية بما فيها الحركة الكردية.

وقد كانت أول إشارة للاعتراف بشراكة العرب والأكراد في العراق في دستور العام 1958 التي تعززت بصدور بيان 11 مارس/آذار/ 1970 وإصدار قانون الحكم الذاتي العام 1974 لكن ما حصل من تدخلات خارجية وطغيان داخلي، ناهيك عن ظروف موضوعية ممثلة بالحرب العراقية- الإيرانية 1980-1988 ومن ثم احتلال العراق في العام 2003 أوجد صراعات وتشظّيات جديدة في العلاقات

كان آخرها التوترات التي حصلت عشية وخلال حملة الاستفتاء الكردي في 25 سبتمبر / أيلول/ 2017 وما صاحبها وأعقبها من ردود فعل، الأمر الذي يطرح مجدداً ضرورة استحضار عِبَر التاريخ ودروسه وفلسفته كي يكون الحوار عقلانياً ويديره عقلاء. لا ينظر كيسنجر إلى مقولة الفيلسوف الألماني هيغل من أن التاريخ ماكر ومخادع، إلا من زاوية البحث في الأخطاء لعدم تكرارها، وإلا فالتاريخ لا يعيد نفسه، بل يُنظر إليه ليُستفاد منه بالقياس، وتلك هي فلسفته الأساسية، وهي فلسفة وتاريخ العلاقة العربية - الكردية. وبالتاريخ والفلسفة يمكن التسلح لمواجهة الحاضر والمستقبل، وتلك كانت خلاصة وجهة نظر المفكر الكردي.

.....  
\* الآراء الواردة في المقال قد لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبا المعلوماتية.